وقد يقوى الاقتضاء في بعض كما قلنا في اقتضاء الشرط للجزاء لاسيما مع تقدم الجزاء ولا يلزم مع كل طالب كالمبتدأ للخبر والفعل للمفعول له وغير الجملة
فالمسألة تستحق طولا للنظر المدقق ولا يكفي فيها نحو ما ذكرنا لكنه انموذج للناظر والله اعلم وقد ذكرنا في بحث مسئلة رجوع القيد الى الجمل
ما يرشد الى تمام تحقيق هذا فليبحث فيما كتبنا على ابن الحاجب قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي لا يبعد ان يقال الفاء
تفصيلية كما قدمنا في قوله تعالى فجاءها باسنا والحمل على الاخبار بعيد هنا والله اعلم قوله تعالى واما الذين شقوا ففي النار خالدين فيها الا ما اراد
شاء الله الاستثناء معنى ما شاء الله في الاستثناء كمعناه في مثل ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
ولو شاء ربك ما فعلوه ونحو ذلك كثير في الكتاب العزيز والمعنى ان وقوع الواقع صادر عن اختياره تعالى في افعاله وعن تمكينه للعبد في افعال
العبد وله في ذلك حكمة بالغة ولو اختار مقابل الواقع لكان في حكمته ما يسع ذلك ولكنه قد علم في الازل اي الوجهين يختار ثم يرتب على علمه التقدير
والكتب فالاختيار هو المنشأ الذي يترتب عليه كونه الكائن فيتعلق به العلم ثم يترتب الحكم بما سبق له الاختيار وهذا تحقيق القدر بحيث يقول
الله سبحانه لو شاء والا ما شاء ونحوهما فمعناه كان ما كان بمشيئته التابعة لحكمته وله في الجانب الآخر حكمة لو اختار ذلك الجانب لتلك الحكمة
لكان ذلك مناسبا فقوله هنا الا ما شاء الله اي خلودا مقيدا بمشيئة الله ولا يلزم من هذا انه قد شاء خلافه انما اخبر بوقوعه اعني الخلود
وقد مر بهذا المعنى الزمخشري في سورة الانعام فلا ادري كيف ذهب عنه هنا حتى جاء بما لا يتكلم به من بينه وبينه مراحل وكيف يغفل ان ينقلوا
من الجنة الى رضوان الله ورضوان الله اعلى من الجنة وهو معهم فيها وهل يحولون عن المكان الحسن الى معنى هو رضوان الله سبحانه وكذلك
النار بانواع عقابها اسم لدار الخلود للاشقياء كان ام زمهريرا ام سموما ونحوها وكذلك سائر تأويلات الناس هنا ليست تبنى واما لها
٥ ان ما مع بطلان ما قاله الزجاج الجماعي من وهوم كونه تكلف يتبرا منه الكتاب العزيز ويتحاشى عنه منقوض بان اهل الجنة الذين يخرجون
من النار لا يتناولهم الاستثناء كما لم يتناول غيرهم لان الاتصاف بالخلود مترتب على الكون في الجنة ومن لم يتصف بالكون فيها لا يصح وصفه
بانه خالد وحاصله ان الخلود صفة الكون فيها والصفة لا توجد بدون الموصوف فكيف يستثنى المحال ولو صح استثناء من لم يدخل
الجنة من الخالدين فيها لكان لنا ان نستثني بنيهم في الدنيا ونستريح من العنا والحديث الذي ذكره الزمخشري موضوع او قريب منه ولا عتاب
على المحدثين في ذلك وابن عمر الذي لم يعرف حافظ الصحابة ابو هريرة في الحفظ لغيره لا ذنب له لو صح كيف والتبليغ واجب وخروجه مع ابيه
لطاعته برجمه وقد اخطا في ذلك ولكنه لم يقاتل ومع معاوية حين قتل عمار والزمهم مشاركته في البغي فاعتذر بانه مقتصر على الخروج
لطاعة ابيه وخطاه في ذلك مع تلك الشبهة يضعف بجنب فقهه وحفظ السنة على الامة وعبادته التي عاينها النبي صلى الله عليه وسلم
على المبالغة ونزلت شيئا فشيئا ولو وافق ابوه على مشورته لم يخرج على ولا في الجملة فالنقر عليه بهذه الهفوة التي ضعف نظره فيها
كالنقمة على ابن عباس في مراجعته على فيما له البصرة فكما ان ابن عباس من سادات المسلمين ورؤساء الصحابة لا يلتفت الى ذلك
بجنب فضله وبجنب صيانته لحفظ حضر وابن عمر لا يبعد عنه ولا يقدح في امثالهم كلام من ضعف نظره فيهم والله الموفق قوله
تعالى ولقد همت به وهم بها هذا الخبر قيد بلولا والتقدير من حيث المعنى لولا ان رأى برهان ربه لهم بها فاقتضى انه لم يهم بها سورة يوسف عليه السلام
وانما غايته توفر المقتضيات للهم اي لم يبق الا رؤية برهان ربه فلم يقع الهم لاجل ذلك هذا مقتضى قاعدة لولا ومقتضى قولهم ان
الشرط المتقدم جزاء من حيث المعنى حتى قال ابن الحاجب في مختصر المنتهى ان منع كونه جزاء من حيث المعنى عناد فاتفق كلمة البصرية
والكوفية القائلين بانه جزاء لفظا ومعنى ومن اوضح امثلة المؤيدة لما ذكر قول شعيب عليه السلام قد افترينا على الله كذبا ان عدنا
في ملتكم فمن ذا يتجاسر على ان هذا خبر بحت لا جزاء هنا ولم ار احدا ذكره والخلاف بين قائل بوقوع الهم حقيقة او هو مجاز ولا ادري الى الذي
٥ الاتصاف مما ذكرته ثم وجدت ذلك في كلام صاحب الانصاف فانه قال في آخر كلامه الوقوف عند قوله همت به ثم يبتدأ وهم بها لولا ان رأى
٥ قلت برهان ربه كما تقول قتلت زيدا لولا اني اخاف الله فلا يكون الهم واقعا لوجود المانع منه وهو رؤية البرهان انتهى فهذا صريح بما
ذكرنا ثم ان المصنف قد سلك فيما ذكرناه في قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم قال ولو قال ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لك

لقد كدت

لقد كدت تركن اليهم اي لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم قوله تعالى وشهد شاهد من اهلها سند الشهادة عجيب كظاهر السياسة
والنظر العجيب الغالب وهو مغلب للظن الذي يعمل عنده وقد قرره الله سبحانه بحسب ما يفهم من السياق فهو من السياسة التي توجب كشف الحقيقة
او ترجيحها فتكون طريقا للعمل اما اذا كشفت الحقيقة فالكلام في ذلك وانما ترجيحها فظاهر لهذه الآية ولانه يحصل الانظار في مثل هذا
الحكم وهو ان يكون الظاهر مع صاحب الرجحان والغالب يفيد كشف الحقيقة في هذه الآية لجواز جذبها القميص من القبل ومع وراءه
وجذبها له من دبره وهي قدامه لعرضها العارض لهاتين الطلب والهرب والله اعلم وفي قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
دليل انه يعمل عنها وذلك انه منكر عليهم سبحانه بعد ظهور تلك الاشارة على صدقه المناسب له قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون هذه الآية نص صريح على حصر اليأس على الكافر فمن اتصف بالكفر ولم يزل عنه وقضي عليه حكمه اختص باليأس
في الآخرة ومن لم يكن كذلك وهو المؤمن فليس من شأنه اليأس فهو راج ولم ار من احتج بها على هذا المقصد وقد هداني الله سبحانه
لها والحمد لله نعم قد استدل بها على التكفير اي من آيس كفر وهو يبتنى على ان المراد لا يقع اليأس والآية تحتمل ان المراد ان المؤمن لا ينبغي
له واليس شأنه اليأس انما ذلك شأن الكافر ويليق به وهذا الاحتمال اولى لان يعقوب عليه السلام نهى اولاده ان يفعلوا
ما ليس من شأنهم انما هو شأن الكافر ولم يرد لا تكفروا فليس فيها دليل على تكفير المعتزلة بل على بطلان توهمهم لعدم جواز العفو
عن صاحب الكبيرة التي لم يكفر بها والله اعلم قوله تعالى وظنوا انهم قد كذبوا ههنا وجه واضح لم يذكره في الكشاف في قراءة التشديد
وهو انقطاع رجائهم لاجابة قومهم وحصول اليأس منها وظنوا انهم يكذبون لهم البتة فانه بذلك يتم لهم التبليغ وينقطع التكليف ولا بعده الا
رجاء الفتح بينهم وبين قومهم فجاء النصر في ابانه ووقع الفتح في اوانه ولم يتقدم الفتح الرجاء ولا تأخر عن اليأس لانه كان الفتح بالنصر والانتقام
سورة الرعد وهذا وقته المناسب وهذا التفسير يوافق ما اشير به قراءة التخفيف واحسن اي كذبتهم انفسهم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات
الى قوله يعقلون يدل على كل عقل يدرك ذلك ولذا عقبها بقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم اي انكارهم ما ادرك نوعه كل عقل من اعجب ٥ ان
العجائب وهذا ناطق بان كل عاقل قد ادرك الغرض من هذه الآيات والقرآن محشو بمثل ذلك بحيث يفيد مجموعه بل كل فرد منه ان الله
٥ مكنكر المدركات سبحانه حاكم على منكر المدركات العقلية لمدرك المشاهدات المحسوسة كالمبصر والمسموع ولا ارتياب فيما قلناه الا غافل او مكابر اذا تقرر
ذلك نشأ عنه سؤال وهو ان يقال كيف يمكن ان يكون مقلد على الحقيقة حتى فرعوا على الامكان هل التقليد مخلص ام لا الجواب
لعدم كونها ان البصيرة في مدركاتها كالبصر في مدركاته وكل من حضر المبصر لا يمكن ان لا يدركه وكذلك البصيرة لكنهما آلة للعقل الفطري يدرك بهما
الحقائق فان استعملهما ادرك وان لم يستعملهما لم يدرك اذ ذاك شأن كل آلة ومعنى استعماله بهما ان يصرفهما الى ما جعلا آلة له
بالعامل متلقيا ما يفيده الله سبحانه عند ذلك من ادراك تلك الحقائق فان لم يستعملها وهو المسمى صاحبه بالغافل او اشتغل عن تلقي ما يفيد
الله هنالك يدرك آخر نظري اي حاصل بلا نظر او كان نظري اي حاصل بواسطة نظر وقع فما جعل الله لرجل من قلبين فلا يمكن
ادراك مدرك آخر غير ما شغله وتحقيقه يعود الى الغفلة ايضا لانه باشتغاله بشيء يغفل عن غيره فهو كالغافل الاصلي اذا حققت
٥ الجانم هذا انحصر المقلد في الغافل على الغفلة الاصلية والمشتغل بغير المقصود وقد قصر النبي الشارد شرد البعير والحيوان الذي له اصحاب
يدعونه الى الهدى ائتنا وهو القرآن وسائر الآيات المتجددة في كل آن وواعظ الله في قلب كل مؤمن الذي سميه بالنية فلو التفت
لفتة ذلك لما امكنه ان يدركه الا ترى ان من وجه حدقته الى محسوس بين يديه واقبل بقلبه على ادراك ذلك لم يمكنه ان لا يدركه
بعد فلو اطبق جفونه او شغل فكرته لما رآه في الاول او لما اقر علما به في الثاني حين شغل قلبه بامر آخر وكذلك شأن البصيرة
ولذا سمى الله من هو نفسه ذلك الادراك اعمى لانه لا فرق في نحوه قال تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى
وكم في القرآن من هذا ومن الحكم عليه بانه لا يعقل اي لا يدرك بعقله واذا استقرأت ما ذكرنا علمت ان كل مؤمن غير مقلد ولذا
ترى من الايمان اجلاف الناس انما حققته ما يقصر عنه ايمان كثير من المحررين للادلة تراه اسير سوط الخوف وزمام الرجاء فهو

Copyright © King Saud University